

اثنين سانت هيلير

من علماء الحملة الفرنسية

للكاتب الفرنسي رنيه سموا

شورث : الم

في يوم قانظ من سنة ١٧٨٤ شوهد فتى في الثانية عشرة من عمره ، منهمكا في البحث عن النباتات والحشرات . كان يتأبط حقيبة يضع فيها باعثناء ونظام الازهار والاوراق التي يقع اختياره عليها ، وكان معه البة لعون الحشرات التي تستحق العناية ،

ولما انتهى عمله من جمع النبات والحشرات من نوع الخنافس جلس في ظل سديانة ، وجعل يدرس مجموعته الجديدة بنظارة خاصة ثم كان يدرن ملاحظاته في دفتر صغير وكان مستغرقا في درسه حتى انه لم ينتبه لوجود الشيخ الذي كان راقب حركته باهتمام واعجاب رفع بصره لسماء تعظيم غصن ياس ، وجعل الشاب يلتفت الى مصدر الصوت فبادر الى اخذ لوازمه واستمد للرحيل لانه رأى شيئا واقفا بالقرب منه « قال له ذلك الشيخ لاخير عليك ياسي « لا تقطع عملك لانه يهمني كثيرا ، وانى لسعيد في تزهى هذه لانها دفنتى الى القبر بك ، وادركت تماما بانك مشغوف بتاريخ الطبيعى ، لاني كرسيت معظم حياتي لتعليم وتدرسي هذا العلم ، فاجابه الشاب : « نعم ياسيدي - لانه آذس تكلماته المشجعة - اني احب النبات والحشرات المختلفة كثيرا باشكالها والوانها . على انه ليس لدي سوى معلومات اولية من التاريخ الطبيعى . وعليه لاني اغتم المطلة الكبرى لأكون مجموعة من نباتات هذا البلد ومن حشراته . « قال له الشيخ « هل لك ان تربى نتيجة اجابتك ؟ - فاجابه الفتى : « سما وطاعة ، ياسيدي ، أرجوك أن تنفردى قصوري لاني مستجد في هذا العلم ا »

فأخذ الشيخ المجموعة والدفتر ، وأخذ يتأمل باعجاب دراسة

هذا الحدث ثم قال . « ياسي انك متواضع جدا لانك تطلب منى الصفح عن قصورك ، بيد انى ارى هنا طريقة البحث واضحة ومعلومات وملاحظات هي فوق سنك . كل هذا حسن ؛ ولكن قل لى اين تلمت المبادئ الاولية للتاريخ الطبيعى ؟ قال له الحدث . اعطاني ابى الدروس الاولى واكملت دروسى في كلية (ايتيمب) . - فاستغرب الشيخ قائلا : وهل تسكن عائلتك هذه المدينة ؟ فاجابه الحدث بقوله . نعم ياسيدي ، ان والدى هو نائب عام هذه المدينة -

- ما اسمك ياسي ؟

- اسمى جوزفروا سانت هيلير

- قال الشيخ ، لاعجب بان تكون ذا ميل شديد للملوم الطبيعية . لان ثلاثة من هذه الاسرة يدعون بجوزفروا سانت هيلير كانوا اعضاء في الجمع العلمى فرع الملوم ، وكان الاخير يسمى باسمك : اثنين سانت هيلير وكان احد الاساتذة الممتازين لحدائق النبات (حديقة الملك)

قال الفتى . - أراك ياسيدي واقفا على تاريخ اسرتى ، مع انى لم اشاهدك قط في بيتنا افاضاف الشيخ قائلا : صدقت يا ولدى ولكن اعلم بانى مطلع على تاريخ العلماء النابيين في الملوم لاني استاذ في حديقة النباتات وفي كوايچ ده فرانس . فاضطرب الفتى من هذه المصادفة حتى انه ما تجرأ ان يسأل الشيخ عن اسمه .

ولما عاد الى البيت قص على ابيه ما توقع له ، فتبسم ابوه وقال ان من سادفت هو العالم « دويتون الذى طبق اسمه اوروبا كاهيا . انى مسرور منك لاهتمامك بالملوم . ولكن لانكس ان رغبتى ورغمة امك هي ان تستعد لتعلم امور الدين كي تصبح يوما من حزب الاكايروس «

مولده

ولد اثنين جوزفروا سانت هيلير ، في (ايتيمب) في ١٥ نيسان سنة ١٧٧٢ من والدين عريقين في الشرف ، متوسطى الحال مثقفين ثقافة عالية ، جدير بان ينتسب لهذه الاسرة الكريمة التي انجبت علماء في الملوم الطبيعية والفيزيائية في غضون القرن

الثامن عشر .

فاعتني الوالد بثقافة ولده ، ولا سيما جدته التي كانت ترى فيه مخائل الذكاء فقد كانت له خير موجه ومدرس اذ شرحت له منذ نعومة اظفاره كتب اعظم رجال اليونان وازومان وكذلك ما ألف في عصر لويس الرابع عشر . حتى انه تفهم تاريخ اعظم الرجال للمؤرخ (بلوتارك) على يديها في سن الحادية عشرة من عمره . نعم لقد ظهرت آثار هذه الثقافة فيه واكسبت نفسه قوة وشجاعة شديدة المراس .

حدث له إذ كان في العاشرة من عمره انه بينما كان يتنزه مع رطافه في ضواحي المدينة سمع صوت اعوال وصراخ من اناس كانوا يطلبون الفرار فاسرع « اتين » الى المكان ، فشهد وبالمول ما شاهد . نظر فتاة قد هاجمها كلب والمسكينة جامدة مكانها لاحول لها ولا طول الا البكاء فاسرع صاحبنا الى كريمة واخذ من تحتها شعبا وارتمى على السكاب ضاربا اياه بشدة حتى ولى الحيوان الادبار وتوارى في الاجرة القريبة .

وبعد ان اتم دراسته المنزلية على ابيه وفي مدرسة مدينة ايتيمب ، نال كرسيا مجاميا في كلية نانا في باريس ، وتابع دراسته الاديبة بسهولة وتقوى بالعلوم تحت ارشاد اساتذة علماء وهنأ بها من فكره كل انتساب للاكبروس . واقدم بقواه جديها على استقاء العلوم المحببة اليه . فتسجل طالبا في حديقة النباتات وفي كولييج ده فرانس ، حيث التقى ثمانية بصديقه القديم دوتوتون وتبع دروسه بكل رغبة ونشاط .

اما الدور الذي مثله اتين اثنا عشر سنة في الثورة الفرنسية فقد كان في آخر سنة ١٧٩٢ ومعه اذ ذاك عشرون سنة . وكان مستقرفا في دروسه حين قطع عليه الارهاب سلسلة دراسته ، على انه لم يقطع اطيب الصلات واقوامها مع اساتذته في كلية نانا ، وخاصة مع هاري المالم في المعادن ولا هومون النحوي الشهير وعدد كبير من العلماء .

وكل هؤلاء الاعلام قد اوقفوا وزجوا في غياهب السجون لانهم كانوا منهمين بمعلمهم للملكية .

فسمى غاية جهده ولم يدخر وسيلة لاتقاذم من هذا المأزق باذلا النفس والنفيس حتى تسكلت جهودوه بالنجاح .

وعهدت اليه حكومة الكونفانسيون « بتدريس مادة العلوم الطبيعية ببناء على اقتراح صديقه « دوتوتون فصار زميلا لهؤلاء الاعلام . « امثال لاسبيد - وبرنارد ده سان بيير - وكوفيه ، ركاهم اكبر ستا منه وكانت حديقة الحيوانات . قد تلاشت في الثورة الشهورة . واخذ العالم الجديدة « اتين » يحدد هذه الحديقة فقام بوظيفته خير قيام . على اكد وجه .

اتين والسرى

ولما تسلمت حكومة الادارة الامور عهدت الى الجنرال نابليون بونابرت غزو مصر سنة ١٧٩٨ لتهربا كثيرا التي لا يمكن مهاجمتها في جزيرتها الصخرية . وبعد ان اخذ قائد الحملة عدته قرر ان يستعين ببعثة من العلماء امثال « مونج - وبرتوله - ودونون » فقام برتوله وعرض على العالم الشاب اتين باسم بونابرت وعلى زميله كوفيه ايكوتا من اعضاء البعثة .

ولما تم احتلال مصر شرع « اتين » في أعماله في التاريخ الطبيعي فجمع مجموعة طيور من ذوات الريش المحبب . وكتب في مذكراته « في هذا الفردوس الأرضي ينسى المرء نفسه بأنه ينبنى عليه ان يسكن المساكن لفقرة وأن يسعى وراء قوته مثل الحيوانات التي يدرسها . فكان يقوم كل منا بدوره بوظيفة الطاهي . ولكن عندما يكون دورى يضطر الرفاق إلى تناول المجففات » .

بيد أن الأمر لم يطل كثيرا لأن الأوامر صدرت من كليبروده سيكس بضرورة الجلاء من أرض الكنانة ؛ ولكن « اتين » على رغم قرب الاحتلال الابجايزى وقتل حملة بونابرت لم ينفك عن العمل في مخبره كأن الأمر كان طبيعيا إذ لم يوقفه لحظة واحدة انقجار القنابل وأزيز الرصاص . كما كان ارخبيدس في حصار سيراكوكا .

دخل مخبره يوما زميله العالم فوريه وقال له . « يا صديقي انقطع عن العمل لأن الجنرال « مو » وقع على وثيقة التسليم ، وستعود بعثتنا إلى فرنسا . - فاجابه حمدا لله ان مجموعاتي